

29 واقع التراث الجزائري المخطوط بين المعلوم والمجهول

إعداد :

أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري

- باحث متخصص في المخطوطات الجلفة -

يقول صاحب فهرست معلمة التراث الجزائري ((... تعد الجزائر مجالا ثقافيا وحضاريا متنوعا للتراث العربي الإسلامي الذي لم يقتصر دور العلماء والمثقفين الجزائريين . قديما أو حديثا . على حسن تمثله والمحافظة عليه , وإنما تجاوزا ذلك لإعادة إنتاجه وإثرائه وتأصيله والعمل على نشره على امتداد المراحل والحقب التاريخية للجزائر العربية الإسلامية رغم ما يلاحظ من تفاوت هنا وهناك .

فرغم الظروف التاريخية والسياسية الاستثنائية التي مرت بها الجزائر³⁰ فإنها ظلت متجذرة في الحضارة العربية الإسلامية التي لم تفلح مختلف أساليب الاستعمار (الاستعمار) الغربي في طمس معالمها الثقافية والعلمية والمعرفية التراثية أو في تحجيم الدور الحضاري الريادي الأصيل لها

غير أن ما بذل ويبدل من جهود علمية جادة لإخراج التراث الثقافي والعلمي الجزائري الأصيل من المجهول الذي أراده له الاستعمار الغربي الى المعلوم³¹ , لم يكن في مستوى غزارة وتنوع التراث العربي الإسلامي الذي مكن له العلماء الجزائريون من الثبات والاستمرار في حياة المجتمع الجزائري بوصفه جزءا لا يتجزأ من المجتمعات العربية الإسلامية الأخرى .

(المصدر نفسه 29)

(عندما نقول الجزائر نقصد بها المدن الأخرى أي الحواضر كجاية وقسنطينة وبونة وتلمسان وتوات وغيرها³⁰)

(الجزائر في عيون الغرب مخطوط لصاحبه بشير ضيف³¹)

وبصرف النظر عن الأسباب المركبة المعيقة فإننا نلاحظ أن كثيرا من الجهود العلمية الحديثة التي جعلت من التراث موضوعا لها , وقد تمت غالبا من مواقع اهتمامات شخصية او فيئوية أو سياسية ظرفية خاصة لم تجعل منه مشروعا حضاريا محسوسا يتعزز فيه الحاضر باستلهاهم الماضي والحديث بترشيد القديم .

ومن هنا فإنها لم تتمكن رغم أهميتها, إلا من العناية بتحقيق وطبع ونشر منتقيات تراثية جزائرية محدودة كميا ونوعيا كما تشير الى ذلك المعطيات الإحصائية , .. رغم الاهتمام الرسمي للدولة الجزائرية بالتراث العربي الإسلامي الجزائري . تلمسان عاصمة الثقافية العربية الإسلامية . فإن حصيلة الأعمال التراثية الجزائرية التي أخذت طريقها الى عالم الطبع والنشر والتوزيع داخل الجزائر لم تتجاوز عشرات من الأسفار والمصنفات التراثية منذ 1962م الى 1998 كما أن مجمل ما طبع من التراث الجزائري داخل الجزائر أو خارجها لم يتجاوز سبعمائة عمل في أحسن الأحوال لما يزيد عن مائة وخمسين سنة .

ومن واقع الإحصاءات التي قام بها الشيخ بشير ضيف في فهرسته وجدنا أن نسبة ما طبع لم تتجاوز 6% من مجمل المؤلفات المخطوطة المتراكمة التي غطت مختلف علوم الدين والدنيا المتعارف عليها في إطار الحضارة العربية الإسلامية كما يظهر ذلك بوضوح في الجدول الآتي :

الرقم	أسماء الكتب	عدد المؤلفات	ما طبع
01	كتب التوحيد	136	25
02	كتب تفسير القرآن	123	12
03	كتب القراءات	57	09
04	كتب الحديث ومصطلحه	157	23
05	كتب الفهارس والأثبات	47	02
06	كتب الفقه الإسلامي	483	81

14	117	كتب أصول الفقه	07
02	70	كتب الفتاوى	08
09	61	كتب الموارث	09
00	20	كتب القضاء	10
01	46	كتب شرح خليل	11
30	401	كتب التصوف	12
12	72	كتب السيرة	13
119	360	كتب التاريخ	14
51	220	كتب التراجم والطبقات	15
13	68	كتب الرحلات	16
19	105	كتب النحو	17
29	126	كتب اللغة	18
10	77	كتب البلاغة	19
101	493	كتب الأدب	20
05	37	كتب العروض	21
02	29	كتب علم الكلام	22
12	71	كتب المنطق	23
09	47	كتب الطب	24
10	61	كتب الفلك	25

26	كتب الحساب	47	10
27	كتب الاقتصاد	16	10
28	كتب المعارك والردود	17	13
29	كتب الحكمة	45	06

ولم يقتصر غياب أو تغييب التراث الجزائري الأصيل عن حركة كما يزيد الشيخ بشير ضيف في معلمته ((... الطبع والنشر وإنما تمثل أيضا في الإغفال الكلي أو الجزئي لآلاف المؤلفات التراثية الجزائرية المخطوطة في فهارس وخزائن الجزائر، إلا ما ورد في ثنايا المؤرخين والباحثين الجزائريين داخل الجزائر أو خارجها كما يبدو ذلك على سبيل المثال لا الحصر في الجداول الآتية:

الرقم	عنوان المخطوط	صاحبه	نوع الخط	عدد الأوراق	الطول والعرض
01	النصح المبذول لقراء سلم الوصول	عبد الرحمان الديسي	خط مغربي جميل	35	20/13 سم
02	المشرب الراوي على منظومة الشبراوي	عبد الرحمان الديسي	خط مغربي	70	20/13 سم
03	اتحاف الصدر باعراب آي القطر	بنعزوز القاسمي	خط مغربي عادي	400	21/13 سم
04	تحرير المقال في الحمد والصلاة على خير الإرسال	سحنون الونشريسي	خط مغربي	40	13/21 سم
05	لب اللباب في رد الفكر الى الصواب	المغيلي	خط مغربي	18	26/19 سم

06	شرح السلم المروني في علم المنطق	الأخضري	خط مغربي	60	15/21 سم
07	شرح السلم	سعيد قدورة	خط مغربي	60	15/21 سم
08	آداب القضاء	حميدة العمالي	خط مغربي	48	19,5/31 سم
09	تنوير الالباب بمعاني الشهاب	عبد الرحمان الديسي	خط مغربي	141	25/24 سم
10	الذهب الإبريز في إعراب وتفسير بعض آي الكتاب العزيز	لأبي زيد الثعالبي	خط مغربي	16	15/20 سم
11	إعراب أما بعد أو اتحاف الالباب بفصل الخطاب	محمد بن الأمين الجزائري	خط مغربي	55	09/20 سم
12	التحقيق ومنهج الهدى الى الطريق	أحمد بن يوسف الراشدي	خط مغربي	43	16/20 سم
14	شرح لامية الأفعال	عبد القادر المسعودي	خط مغربي	100	17/22 سم
15	شرف المطالب في أسنى المطالب	ابن قنفذ القسنطيني	خط مغربي	25	17/13 سم ³²

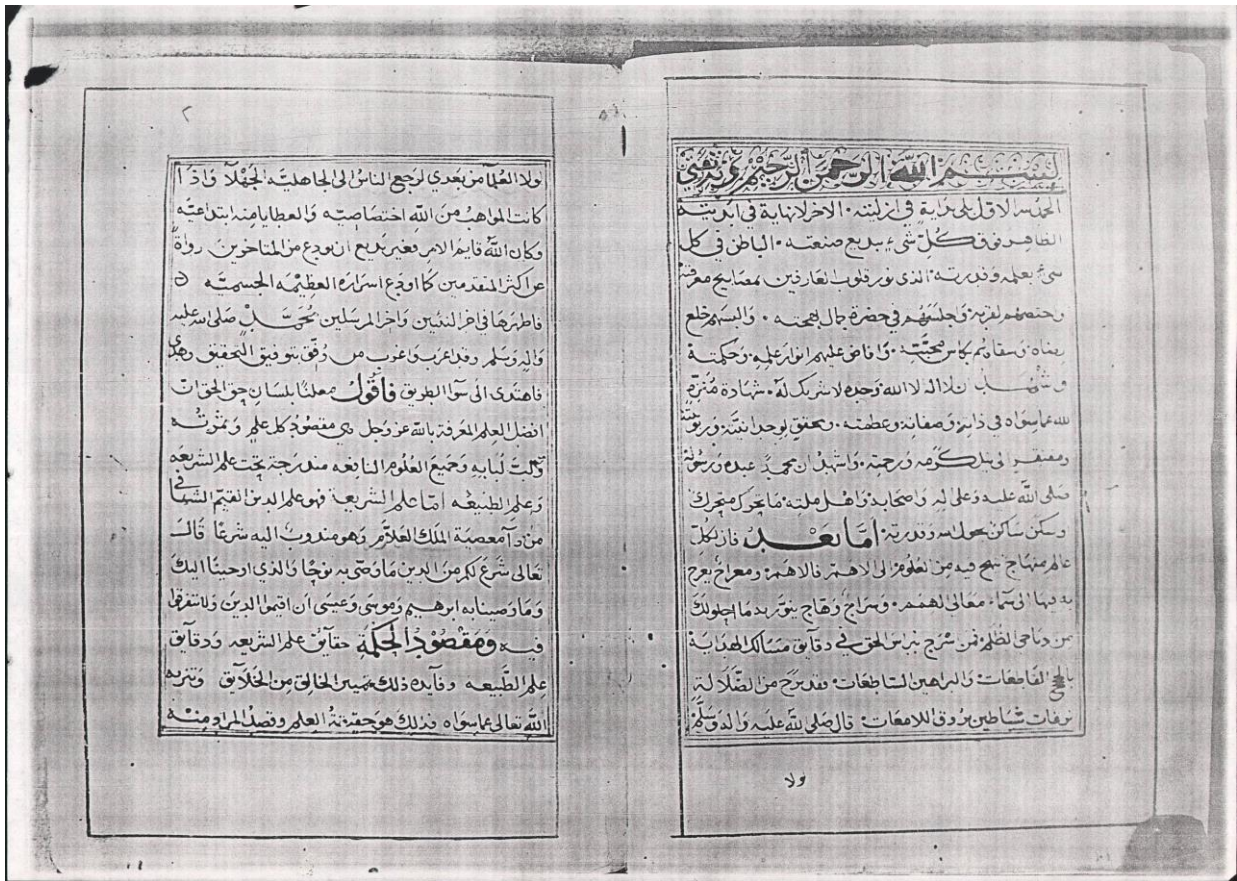
ومن خلال هذا الجداول يتبين لنا جليا واضحا أن علماء الجزائر لهم اليد الطولى في جميع الميادين العلمية حيث عرفت الجزائر خلال قرون بروز العديد من العلماء وترك مخطوطاتهم شاهدة على ذلك وسجلت ترجماتهم ووفياتهم في كثير من الكتب "ككتاب الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت 714هـ) وكتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ) , و"كتاب تعريف الخلف برجال السلف" للعلامة الشيخ الحفناوي (ت 1941 م) , و"معجم اعلام الجزائر" لعادل نويهض , وفهرست معلمة التراث الجزائري لصاحبها بشير ضيف , كما لا يفوتني هنا ذكر رجال دونوا تاريخ الجزائر الثقافي كالدكتور ابو القاسم سعدالله في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي " ويحيى بوعزيز في كتابه " أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة , وكذا العلامة عبد الرحمان الجيلاني " رحمة الله عليه " في كتابه الشهير " تاريخ الجزائر العام " وكذا الدكتور محمد ناصر وما كتبه عن اعلام الإباضية ودورهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية.

ومن خلال إسهامات علماء الجزائر في نشر العلوم باختلاف انواعها فإننا نوضح بعض المخطوطات التي نراها غير منشورة وغير معروفة لعلني أكون قد شاركت في هذه الندوة الدولية بالتعريف بالتراث الجزائري المخطوط بين المعلوم والمجهول , وسوف أقوم بإبراز بعض المخطوطات الجزائرية بالشاشة الكبيرة لعلماء الجزائر :

الحمد لله
 جاءنا الوصل السعيد الصالح ان شاء الله تعالى ليلة الاربعاء
 الحقة عشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وستين
 وباتني والى وسام حبيبا الشيخ المدي خطه
 الله تعالى بطهر طهر الله من شر نيام ودينه
 وبارك في عمر وورقه العلم والعمل به
 بجاه سيدنا محمد مع الله عليه
 ومع آله وصحبه
 هذا على حصة الجرحى الفقري
 للعلة المنة سيرة المكي

بسم من المراكيب الرسالة الكدية نبذة في كلمة الكلام
 وهي مفصلة ينبغي نقلها (وهو اصل قول صفة صام)

الكتابة المأثورة له
 وهي من كتبنا كذا فيهم في الكلام لا يوجد في كلامه من الكلام اجميد كثيرا وانما لا يثبت في الامداد
 ثبات طبع بل هو كثير الاضطراب فيه وانما هو في علم مع حيا له الواسع التي يتجمل فيه الحق من رقة
 والباطل اخرى والله اعلم بما ثبت عليه فان مع الله مبتتة في اصليه اصدحا ان المعلوم في
 لما يشتهر المعلوم موافقة لمع ذلك من المعترلة واولد مع قلة في جميع اركان حيا
 راء المعترلة على الاخر فعولهم ان وجوده اعيان نفس وجود الحق وعينه



كتاب كنز العلوم والدر المنظوم في علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة (الصفحة الثانية)

لجمال الدين بن محمد بن علي بن تومرت³⁵